الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم
كلية الأدب العربي و الفنون
قسم الدراسات الأدبية و النقدية

عنوان المذكرة:

صورة الآخر في رواية "لا أحب الشمس في باريس" لعبد الجليل مرتاض

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في الأدب العربي
تخصص: دراسات مقارنة

مقدمة من طرف الطالبة:
حيدرة صافية

تحت إشراف الأستاذ
الدكتور حمودي محمد

السنة الجامعية:2017/2016

إهـداء

إلى كل ذكر يسبح لله .....سبحانه و تعالى .....ويسجد شاكرا أهدي ثمره جهدي إلى التي حملتني وهنا على وهن ،وغمرتني بد فئ عاطفتها ،إلى رمز الحب والحنان "أمي الحنون " إلى من تعب وكد وجد ليكون نورا ساطعا ينير دربي "والدي العزيز" رحمه الله ،إلى أطيب و أحن إنسان في الوجود جدي الغالي ...... إلى أرق إنسانة في الكون أطال الله في عمرها جدتي ....إلى زوجي الحبيب سندي في الحياة وإلى من قاسمني رحم أمي إخوتـــي و إخـواني كـل باسمه :أمال،نوال،عجال،محمد،عبد العزيز،عبد المجيد،عبد الحميد....

إلى كل من علمني حرفا،خاصة الأستاذ المشرف "حمودي محمد" .

إلى كل الصديقــات العزيزات :خليـدة،إلهام،كريمة،إلى من تمنى لي النجاح في دراستـــي و مد لي يد العون من قريب أو من بعيد.

إلى جميع طلبة اللغة العربية و آدابها دفعة 2017/2016.

كلمة شكر

اللهم إن أعوذ بك من قلب لا يخشع من عين لا تدمع و من قلم لا ينفع و من دعاء لا يستجاب له نحمدك و نشكرك جل شأنك مصداقا لقوله تعالى :

" وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ "

و إنطلاقا من قول الرسول صلى الله عليه و سلم :

"..... ومن صنع لكم معروفا فكافئوه،فإن لم تجدوا ما تكافئوه به فدعوا له حتى يرى إنكم كافأتموه " .

و أتقدم بالشكر الجزيل لكل من وقف بجانبي من قريب أو من بعيد و ساعدني في إنجاز هذا البحث المتواضع ،وعلى رأسهم الأستاذ الفاضل المشرف الدكتور**"حمودي محمد"** الذي توسمت فيه وقار الشيوخ و حنان الآباء ،ولـــه مني كل التقديـــــــر و الاحترام .

كما لايفوتني إن اشكر كل أساتذتنا الأفاضل بقسم اللغة العربية على مساعدتهم لنا طوال حياتنا الدراسية الجامعية .

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم و الحمد لله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له، و الصلاة و السلام على نبيه محمد خاتم الأنبياء الذي لا نبي بعده ،و على آله و أصحابه و من تبع مسلكهم و اقتدى بهديهم إلى يوم الدين و بعد :

تعد الرواية من أبرز الفنون النثرية التي لعبت دورا في حياة الأفراد و المجتمعات لكونها من وسائل التعبير الفني التي ينشرها الكاتب لإعطاء صورة كاملة عن حياة الفرد في بيئته الاجتماعية ، تعتبر رواية "لا أحب الشمس في باريس" لعبد الجليل مرتاض من الروايات التي تجسد علاقة الرواية بالواقع الاجتماعي ،و تبرز صورة الآخر الغربي لدى العرب من خلال معاشرتهم له ، على أن موضوع الآخرية و الهوية في الرواية العربية من الموضوعات الحساسة التي وقف عندها بعض الباحثين ،لعلاقته بالحياة التي نعيشها و ما ينجم عنها في المستقبل تقاربا أو تنافرا بين الأنا العربية و الآخر الغربي عموما .

و قد جاء إختياري للموضوع من وجهة صورة الآخر ،ثم لطبيعة الحضارية المعتمدة على علوم كثيرة ،بالإضافة إلى مطالعتي المبكرة لرواية " الصراع الحضاري " و خاصة "موسم الهجرة إلى الشمال ".

و قد قام بحثي على مقدمة و مدخل و فصلين و خاتمة و ملحق ،أما المقدمة أشرت فيها عن أسباب إختيار الموضوع المعتمد و المصادر الأساسية التي اعتمدنا عليها في المنهج و الخاتمة كحوصلة لبذرة جهدنا المتواضع .

- أما الفصل الأول : (الآخر مقاربة مفاهمية) فقد تضمن محددات الآخر في الرواية العربية ، محددات الآخر في علم الإجتماع ،محددات الآخر عند الفلاسفة و محددات الآخر عند علماء النفس.
- بينما عالج الفصل الثاني صورة الآخر اليهودي عند العريق ،و صورته في الرواية من خلال الشخصيتين أنجال و السيدة آشير ،صورة الآخر المسيحي عند العرب،

و صورته في الرواية من خلال شخصية السيدة كاترين ،صورة الآخر الإسباني :ماريا كازانوفا .

وختمت بخاتمة حملت النتائج المتوصل إليها و من المصادر التي اعتمدنا عليها في بحثي هذا :رواية "لا أحب الشمس في باريس " لعبد الجليل مرتاض ،عبد المجيد حنون "صورة الفرنسـي في الرواية الغربية " ،طاهر لبيب "صورة الآخر العربي ناظرا و منظورا إليه" ،عبد القادر شرشار "كتابة الآخر في الرواية العربية المعاصرة " .

واعتمدت في بحثي على المنهج الموضوعاتي "النصاني " و إذا أقتصر الأمر الحديث عن الأمر الحديث عن المنهج فقد اعتمدنا ما يناسب طبيعة الموضوع .

لا يفوتني في الأخير أن أتقدم بأسمى عبارات التقدير و الاحترام لأستاذي الفاضل الدكتور "حمودي محمد " و إلى الساهرين على قسم الأدب العربي بجامعة مستغانم و إلى كل من مذ إلى يد العون من قريب أو بعيد ،و الله خير الموفقين .

فضاء الرواية

تدور أحداثها في الغرب (باريس)،تتمحور حول رشيد بطل الرواية ،وعلاقاته مع الأشخاص الذي التقاهم ، في البداية كان ذلك الشخص الأسير لخوفه و سذاجته ،رغم إلحاح رفيقه صالح ليحظى بالسعادة في إقناعه بالتغير لكن صاحبه كان عنيدا فوق تصوره متمسكا بعاداته و تقاليده إلى أن صارح صديقه التي وصلته من حبيبته فولة التي عبرت له فيها عن حبها و اشتياقها له ،قالت له بأنها ستزوره متحجبة بزيارة خالتها في مونطراي ،أراد صالح مرافقة صديقه إلى موعده لكنه كان متأكد إن شركة فرانكي القاسية لن تعطيه الإذن ،و عند مصارحته لرشيد فوجئ برد فعله ،الذي قال له بأن واجب عمله أولى لأن الباطرونات أصبحوا يبحثون عن أي حجة واهية للتخلص من عمالهم و من هنا شم صالح من صديقه رائحة الشك في عشق زائرته .

جاء الصباح وراح يطبق ما تعلمه في دروسه المسائية القليلة في قراءة الألواح في محطة القطار "ليون" منتظرا حبيبه فولة ،مع اقتراب وقت وصولها توازنت دقات قلبه موسيقيا مع دقات القطار القادم من الجنوب ،وصل القطار و نزل الركاب أخذ رشيد يبحث عن حبيبه قبل الالتفات إليها ضمته دون تحية ولا انتظار ...وهمت ببث شكوى فرقتها ، بعد ذلك جلسا في كرسي خشبي قديم ،حيث أن رشيد تعجب لحال حبيبه كم تغيرت في لباسها و حتى في حديثها بالفرنسية و كل ذلك راجع إلى تعلمها في مدرسة خاصة بتكثيف اللغات ، أخذ يصف شعوره و هي بجانبه و شوقه لها وهي بعيدة عنه .....عرض عليها فيما بعد بأن يستريحا في نزل و كان الأمر كذلك ،امضيا الليلة هناك ،و في الصباح أعطته رقم هاتف خالتها ليتواصلا و يتواعدا ،و أخبرته بقصة خطبتها ، و خوفها من غضب والدها بمنعها من فسخ الخطبة .

صارا يتواعدا من حين لأخر ،اعترف لها شيد أن رسالتها هي التي أيقضته و ساعدته في أن ينفض قتار و أشعة تلك الشمس ،حيث أيقن أن لا نجاة من شمس وطنه إلا بالتغيير و الإبحار في العالم الجديد الذي لا شمس فيه ،و إن وجدت فهي شمس حضارية لا تزعج أحدا في حله و ترحاله حان موعد رحيل فولة إلى مرسيليا ،طلبت منه أن يعاهدها

بأن لا يصحب فتاة سواها بعد رجوعها ،فهي لا تأمن عليه من الجميلات و السائحات التائهات انصرم شهران ولم تعد كم وعدته استقل سيارة أجرى و توجد إلى مرسيليا ،و بينما هو يتمشى في الأزقة المارسيلية الشعبية العتيقة أخذ يصف بائعات الهوى واصفا إياهن ببدور آدمية تصطف على الأرصفة لم يتردد في المبيت مع قاورية و التي فهمت من أول برهة أنه غريب حيث قرأت ذلك في تردده و خجله هي إسبانية جرفها تيار الزمن القاسي لهذا البلد ،أخذت تسرد له قصتها بعد ذلك ذهبا إلى الفندق و امضيا الليلة معا ،في الصباح تركت له ماريا كازانوفا رسالة تعترف فيها له أنه غير مجرى حياتها فقد اشتاقت لعائلتها و تنوي الرجوع ،فوهجته عاطفة جياشة شوقا و ذوبته حنينا إلى ذلك المسقط الذي لم يجني منه غير الآلام ....

أكمل طريقه في البحث عن فولة إلى أن وصل إلى بيتها و أمضى الليلة هناك حيث التقى بعمه سي زيان ،أدرك حينها رشيد أن لا مكان له بينهم ،فخطيب ابنته يكمل ما ينقصه من طاقات صعبة و سلامة جسدية ،لذا قرر العودة لباريس و أن يباشر عمله الجديد في المطقهة ،حيث اختار له رب العمل سي حميد دور الإستقبال و المراقبة العامة فيها ،لم يصدق نفسه بأنه ودع عالم البر اريك و الأكواخ و الأتعاب و الحرمان و طرق عالما جديدا من الشعور بالكرامة و الأشغال التجارية المريحة و المدرة ،كانت التجارة بالنسبة له من الأحلام المستحيلة ،كل ذلك بفضل صديقاه ،أما الصندوق فقد اسند إلى موظفة وسيمة ذات الأصل اليهودي لكنها لا تصرح بذلك خوفا من سوء ظن الناس بها، أخذ يصف الأجناس القاطنة هناك :هؤلاء الإفريقيين و الإفريقيات أكثر تشابها منا نحن المغاربة بعاداتهم و تقاليدهم و لهجاتهم الشمسية هناك ،صراعهم مع شمسهم الوهاجة و المصهدة لم تخمد مدته و لم تنطفئ جمرته،فالبعض منهم لم يتورع في التجنس بالجنسية حتى يستفيد من مزايا مادية عاجلة ،غير أنه ظل حنينا إلى أشعة شمسه المحرقة في كل حين .

يواصل سيره ليلتقي سيدة طاعنة ،تكسو عينها المحمرتين نظارتان تساعدانها على تقوية ما بقي صالح من بصرها يمتد إلى فوق صدرها صليب معدني و هي تحدث المتجمهرين عن ميلاد المسيح الذي يشرف على الشروق بعد ساعات و الناس مشدودون

إليها شدا ،و كأنها الخلاص النهائي لهم مما هم فيه من اقتراب ممقوت ،وحيرة مصيرية رد في نفسه قائلا بأن القرآن علمنا كل شيء عن السيد المسيح حملا ووضعا و بعثه و معجزة ورفعا إلى السماء ،لكن ما أذهله هو تنقل العجوز من لا شيء إلى هذا المكان رومانفيل و قدرتها إلى العمل و قدرتها على أن تبعث من شيخوختها جلدة عنيدة تقاوم إحداث الزمن رغم كلماتها المعسولة لا تؤثر شيئا من يعتنقون الديانة الإسلامية التي آمن بها هؤلاء و أولئك عن اقتناع روحي مطلق لا يشوب به إجبار ولا تهديد و لا حتى تغرير ،إن هؤلاء فقد واجل أثارهم الشمسية إلا هذا الدين الذي لا يزال يعمل في نفوسهم فيزيد أملهم أملا و يصون كرامتهم ،و يبعث فيهم اللذة الروحية المتجددة ،أم ما قلدها إلى ما آلت إليه حالها الراهنة هو فواجع غائلتها ،فقد كانت أمها تخون أبيها ليأتي اليوم المشئوم الذي اعتدى فيه عشيق أمها عليها لينتهي الأمر بقتل أمها لعشيقها و دخولها السجن و موت أبيها لينقل للحديث عن أنجال الفتاة اليهودية زميلته في العمل و رفيقه صالح ،أصلها يهودي و أمها لبنانية ،كانت قريبة من رشيد تحكي له عن أسرارها و عن حبها لصديقه ،بعد ذلك تركها ليعود في الصباح للمطقهة فيجد أنجال شاكية باكية بسبب مشكلتها مع صالح فالسبب هو عمها المتمسك بيهودية الرافض لمباركة زواجهما إلا لتبقى بين المطرقة و السندان ، بينما هو مستلقي يأخذ قسطا من الراحة راح يحدث نفسه هو الذي كان يحمل أكياس الإسمنت هناك تحت الشمس و قام بكل الأعمال الشاقة ،يركع اليوم مستخذيا لعاطفة حب جياشة ،راح يردد بعدها بأنه لن يخضع لحب متردد متلون تلون الأيام و الأحوال لن يكون رفيق باك هواها الذي لم ينعم به منذ شهور خلت ليفكر بعدها بالالتحاق بماريا ليعيش معها الأيام الحلوة ، يذهب بعد ذلك للحديث عن عمله و رب عمله سي حميد الذي اعتقلته الشرطة بسب ترأس حزب سياسي ،فرشيد و رفاقه لم يألفوا الحياة بدونه .

وصلته أخيرا رسالة من حبيبته فولة تخبره إنها في الوقت الحالي يجب أن تبقى مع سعيد الذي اعترفت له بحبها لرشيد ،كاد يجن ،هي معه لتكسب ثقته لذا تطلب منه انتظارها لأنها لن تحب غيره ،لم يدري ما العمل ،أهي صادقة في قولها أم كاذبة ،بينما هو في صراع و صله اتصال من أخت فولة تخبره بأن عمه توفي قرر الذهاب للعزاء الذي هو بيت سعيد و جلس مع خالته عائشة و اخبرها انه لن يكون اسعد حالا من يخدم غيرها في

الدنيا كلها فيمكن لها أن تطلب ما تشاء ،بعد ذلك و دون توديعه لفولة يعود إلى عمله ليجد أنجال كما تركها على حالها معها الفتاة الإيطالية سوزان التي لم تبرح المحل ،التي لا شك في أنها رثت لحال أنجال لما تركها الولهان فأقدمت على مساعدتها طواعية هي فتاة في حدود العشرين تضاهي لحد ما في شعرها و عيناها و قامتها فولة في كثير من الصفات .أولا هويتها لا تصدق إنها محامية أن أنجال التي تمنت أن تراعي عمها الذي بدأ الوهن يغلب عليه ولا تلك العمة الشكساء التي تود لو تستحوذ على كل شيء ترى أن ابن أختها في حيفاء أثرى و أجمل من ذالك العربي هي تصف أنجال بالعانس التي تخال نفسها ملكة جمال العالم ،وكل ذلك راجع إلى ما عاشته العمة أشير مع زوجها عم أنجال ،فطوال الوقت حياتها كانت وحيدة تعلقت بشباب واحد من بيت كل من ضاحيتهم ،لكن فارق السن أخجلها و المصيبة انه عربي إفريقي ،هي تصف أنجال بأنها الفتاة المعجبة بصاحبها حد الجنون ،فلا ريب أنها لقيت فيه نفس ما وجدته هي في صاحبها القديم ،وهدا ما يزيدها شنآنا و ضغينة عليها ،إن العمة أشير تحير بكلامها من يسمعها فهي لا تلبث ملاكا خيرا إلا لتضحي شيطانا شريرا ،ومن يدري لعل الحسـرة و الندم تغلبا عليها راح يحدثنا عن حنيـنـه و اشتياقه لفولة و تذكره لتلك الأيام التي قضتها معه فهو يرى طيفا في كل مكان لكنه يعود إلى ماريا كازانوفا و يقول بأن حنانها سيحال جرفه إليه دون أن يغرقه فهو يقارن بين فولة و ماريا ،فهو يقول بأن هده السحابة منا قنوعة ،وظفت ما ورثت من أبيها من إرث البنوك هذه لا تحي إلا لتعيش و إما تلك فيبدوا أنها لا تعيش إلا لتحي شتان ما بين حياة من اجل عيش و بين عيش من اجل حياة ، يذهب بعدها في سهرة مع رفاقه ،اخذ سي حميد يحكي لهم قصة عشقه لإليزابيث ،فهم لم يعرفوا عنه إلا السياسة ،و هاهو اليوم يكشف لهم عن فلسفة حبـه و تخوفه من العودة إلى الشمس .

ولدت أنجال ابنها إبراهيم و دعت كل الأصدقاء لحفل ختانه ،حكت لهم عن العمة أشير التي لم تعهدها إلا عجوز شمطاء شريرة تتغير فجأة لتغدو ألطف سيدة وقور ،حبها لحفيدها الغالي ،حتى لا يشعر في مستقبله بهموم الغربة أو شبح التشريد ،و أنها ستكتب الدار التي ورثتها عن المرحوم لأنجال لتعود المياه إلى مجاريها ، يحدثنا رشيد عن علاقاته كانت تجرؤ على اقتحام غرفته و هو لا يبرح في منامته حلبت لسانا حلبا و أقرر لها بكل

شيء ،أفظي لها بأسراره الخاصة هي لم ترضى بذلك فقط ظلت تراوده حتى يكشف لها أوجه المفاضلة بينها و بين ماريا كازانوفا مع كل ذلك يقول أن علاقتهما كانت نظيفة ظاهرة .

يقول رشيد أما أنا فتعرفون عني تجربتي مع ماريا و هناك تجارب أخرى مع سـواها و لما لا يكون البعض الآخر في الطريق ؟ ليس ذلك نكاية بفولة .إلا انه أقدم على تلك المغامرات محاولة منه للتخلص من شبحها و كابوس تصرفها المشبـــوه ،و علاقاتها الواسعة التي تبررها بفلسفة العمل ،لكنه يفسرها بمحاولة البحث عن بديل لتنساه ، لكن فولة ردت عليه بدعوته أن يرحل معها ،تمنحه كل ما تملك من ثروة ،أليس المـــــال و الشهرة و السعادة أفضل له من أن يبقى تحت رحمة تلك اليهودية تقول فولة ،راحت تخبره عن ذكرياتهما تحت الشمس هناك ،و ما آلت إليه البلد ،و التغيرات التي طرأت عليها لكنها عادت وحيدة ....، تباطأت فولة في زيارتها العاشرة على غير عادتها منذ عودتها من زيارتها الأخيرة و هو يحاول الاتصال بها لكن في اغلب المكالمات كان يجده خارج المنزل ، طال الغياب عذبه هذا الموقف المتخاذل أدعى لأنجل انه متجه إلى ناحية الشمال لزيارة بعض أقاربه فسرت بذلك سرورا بالغا الأهم عندها ألا يتفوه لها بإشارة إلى الجنوب ، لكنه كان في طريقه لحبيبته ،أخذ يتذكر موعدهما الخامس كيف تجولوا في المدينة ،في أحياء عربية و إفرنجية ،الشمسيون الأفارقة أينما توجهت إلا ووجدت عينات منهم ،تعشوا ورقصوا على أنغام الطبول .....توجها بعد ذلك كمنزل الخالة عائشة التي رحبت بهم بعد ثلاثة أيام رجع عبد اللاي الذي سافر رشيد معه ،كلف أنجال بتسليم الرسالة لصالح ،لكنها لم تطق صبرا حتى يحضر ليفتح الرسالة شرعت تتلو الرسالة بشغف كبير كان في فحواها انه أجل عودته ،هو يتمنى ألا يتضرر المحل بسب غيابه ،سافر لأن الأسرة تعيش حالة من الفراغ يرثى لها ،و ذلك منذ وفاة سعيد خطيب فولة راجيا في الأخير التوفيق لصالح في نضاله السياسي و نشاطه التجاري الخارجي .... .، امتقع وجه أنجال بعد قراءتها للرسالة ،اعتبرتها كآبة عميقة ،دمعت عيناها ،وأخذت تحدث نفسها أيكون رشيد قد وقع في القفص الذي ظلت تواجهه بدون جدوى ؟ ما كان لها إلا أن تقتنع بقسمتها رغم حبها له ......

1- محددات الآخر في الرواية العربية :

إن مفهوم الصورة التصق بمفهوم الآخرية ، و الهوية معا و التصـور هو التــوهم و المحتمل ،فصورة الأخر قد تكون فيها كثير من عناصر الواقع ،كما فقد يغلب عليها الخيال و الوهم و الافتراء ،و الصورة من هذه الزاوية هي تمثل الأنا و الأخر معا .

إن الرواية هي الجنس الأدبي الجامع لرسم صورة الآخر و تمظهره،نظرا لحجمها و تمتعها بإمكانية السرد و الوصف و التحليل ،و لكن هذه الصورة التي ترسم ،ليست هي الواقع ،فهي "ليست شديدة التقرب منه و لكنها ليست مختلفة عنه تمام الاختلاف "[1] ،فالصورة من هذه الزاوية يمكن أن تشكل تعبيرا أدبيا عن فارق واضح بين ثقافتين ،ثقافة الشرق و ثقافة الغرب ،ومن منا يمكن اعتبارها تمثلا لواقع ثقافـي و إيديولوجي و تخيلي كذلك ،و من ثم فالصورائية تتجه لمسائلة الهوية و العلاقات بين الأنا و الآخر ،فهي صورة متخيلة قبل أن تكون واقعية تستمد طبعتها من الواقع ،ذلك أن الخيال في هذا المجال يسبق الواقع و كل طرف رسم ا؟لآخر رسما معينا ،هو في التحليل الأخير مبني على خلفيـــات و نوايا ووعي و فرضيات ،فصورة الأنا العربية مثلا شوهها ا؟لاستشراف تشويها مقصودا ،في حين كان الغربيون يذهبون إلى الشرق ،كانوا يبحثون عن تلك الصورة المشبوهة ،أما مالا ينسجم مع الصورة فيتجاهلونه ،و يولونه ظهورهم ،" و إن هؤلاء الرحالة و التجار لم يقتصروا فقط على كتابة حكايات سطحية و غريبة عن العرب ،بل أنهم و هذا هو الأهم قد خلقوا أو ألفوا بأنفسهم خرافات و صورا هي في الواقع من نسج خيالهم و تصوراتهم " [2] .

إن الروائيون العرب " حاولوا هدم ذلك الصورة المشبوهة التي عانى الآخر كثيرا في رسمها ،و رميها في أدبياته و كتاباته ووسائل إعلام المتطورة " [3]و يجب أن نشير إلى نقطة هامة و هي الأنا في الرواية العربية ليست بالضرورة هي الأنا العربيـــة و الإسلامية

---

[1] عبد المجيد حنون ،صورة الفرنسي في الرواية المغربية ،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، سنة 2001 ، ص 82

[2] حلمي حضر ساري ،صورة العرب في الصحافة البريطانية ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ، ط1 ،يناير 1988 ،ص 27 .

[3] سيار الجميل ،التحولات العربية ،إشكالية الوعي وتحليل التناقضات و خطاب المستقبل ،الأهلية للنشر و التوزيع ،المملكة الأردنية الهاشمية ط 1 1997 ،ص 115 .

،و أن الآخر ليس هو دائما الغرب ،قد يكون الأخر فينا و من ،أي أن الأنا تعد و منقسمة إلى أنا و آخر ،و في هذا السياق الحد سار الجميل :"إن الآخر سيتواجد حتما بحكم تطـــورات البشرية في دواخل حصوننا العربية كالمغترب عن الوطن و المشحون بآلامه و المكبوت بآماله و المنتكس في أهدافه و مصيره "[1] و هذا ما أكده أيضا حيدر إبراهيم على بقوله : "فالآخر ليس هو بالضرورة البعيد جغرافيا أو صاحب العداء التاريـــــخي ، أو التنافس الدائم ،إذ يمكن للذات أن تنقسم على نفسها و يحارب بعضها البعض الآخر " [2] يتجلى ذلك في" إبراهيم الكاتب" لإبراهيم المازني ،نرى أن الأنا تمثل المدينة و أن الآخر يمثل الريف و في رواية "رامــة و التنيــن" لإدوارد الخراط تتمثل هذه الجدلية بالديانتين الإسلامية و المسيحية ، نستنتج مما سبق أن الأنا العربية تشظت و انقسمت ،فأصبحت أنواة متصارعة فيما بينها بعدما كانت محسومة في السابق في صراع الأنا العربية مع الآخر الأجنبي .

إن الإرهاصات الأولى لحضور الآخر في الخيال العربي ،بدأ عبر الرحلات العربية إلى هناك ،و إن من بين تلك الرحلات الفاعلة ، هي رحلة رفاعة الطهطاوي التي ترجمها كتابه " تخليص الإبر ير في تلخيص باريزا و كتابه هذا يمثل بدايات الانبهار و الإعجاب بالغرب ،و الارتماء في أحضانه دون روية ووعي ، إذا كان أن أفـكاره و قيـمه و تقاليده و معيشته في رأيه هي النموذج الذي يجب أن تتبعه الأنا الشريفة عموما ،و المصرية على وجه الخصوص ،و لذلك فالكتاب كان في مجمله تصوير محاسن فرنسا و مفاتنـــها ،و كثيرا من جوانبها الاجتمـاعـية و الاقتصادية و السياسية و التربيـــة و التعليم و قيمها ....، و تعتبر هذه الرحلة أول رحلة إلى الغرب في عقر ،واصفا إياه بعينين شرقيتين ،ولذلك فالرحلة منحته الفرصة للتعرف عن كثب عن تفاصيل الحضارة الغربية " [3] ليشرع

[1] مرجع سابق ص 126 .

[2] طاهر لبيب و آخرون ،صورة الآخر العربي ناظرا و منظورا إليه ،مركز الدراسات الوحدة العربية بيروت ،ط 2 ،1999 ، ص 111 .

[3] معين الطاهر ،الطهطاوي و الغرب ،مجلة الحوار فصيلة فكرية ثقافية ،العدد 10 ،السنة الثالثة ،صيف 1988 ،ص 28

عند رجوعه إلى أناه في تطبيق ما شاهده في الغرب و آمن به عندما تولى مسؤوليات التعليم في مصر "[1] .

إن ضعف أنا الطهطاوي و انجذابه غير الواعي إلى الغرب و انتفاضه من الأنا المصرية جعله يكون معول هدم لأحد عناصر الهوية و هي اللغة العربية و يكدها بقوله :" إذن اللغة أداة للتقدم ،و اللغة العربية عاجزة عن نقل العلوم و الفنون فهي بحكم قيودها و أحكامها النمطية لا تصلح لأن تكون أداة للتقدم " [2] .

البدايات الأولى التي تؤرخ للعلاقة بين الشرق و الغرب ،كذلك تتمثل في كتاب محمد المويلحي في "عيسى بن هشام " و الذي كان فيه الفضائل و المحامد للغرب حيث " يرى أن الأنا متخلف جاهل ظلامي مازال يعيش على نمط الأقدمين السلفيين في حين أن الآخر خطا خطوات جبارة في شتى المجالات كالعلم و الصناعة و الفنـــون و الآداب و التربية و الحياة الاجتماعية و الفكرية "[3] و لكن بالمقابل يصف أخلاق الآخر بالمجلة الفاسدة و يقول على لسان حكيم فرنسي " لهذه المدينة الغربية الكثير من المحاسن كما أن لها الكثير من المساوئ تخطوها حقها ،ولا تبخسوه قدرها و خذوا منها معشر الشرقيين ما ينفعكم " [4] .

و الأمر نفسه عند محمد حسين هيكل حين وصل فرنسا لن يلتقي"إلا بالدهشة المغتبطة التي غمرت من سبقه في الوصول إلى الغرب و لذلك لن يدخر المصري النجيب جهدا في التعرف على ما لا يعرفه بدء من ارتياد المتاحف.....و يعطي كتابه "مذكرات الشباب " ربما صورة عن الغرب الذي فتنه و عن الفتنه التي أيقظت فيه أسئلة شرقية كثيرة " [5] .

[1] نفسه ص 33 .

[2] نفسه ص 35 .

[3] محمد المويلحي ،حديث عيسى بن هشام ،المكتبة العربية ، ط 4 الدار القومية للطباعة و النشر 1964 ، ص 350 .

[4] نفسه ص 351.

[5] فيصل دراج ،نظرية الرواية و الرواية العربية ، المركز الثقافي العربي، بيروت ، ط 01 ، 1999 ،ص184 .

ذهب بعض النقاد إلى أن الرواية العربية ،خلقت من ضلع الرواية الغربية من البعثات الأولى و سفر الرواد الأوائل للسرد الروائي إلى الغرب للدراسة [1] كطه حسين و توفيق حكيم و غيرهما متأثرين بالعناصر الفنية الغربية التي تحكم الفن الروائي و لذلك فأن مقولة الآخر هي مقولة مؤسسة للرواية العربية من حيث نشأة الرواية و ظهورها بل و حتى تطورها في الثقافة العربية الحديثة كنوع أدبي طارئ و مستحدث ،ما كان مقيضا له أن يرى النور فبل صدم إلقاء بالغرب[2] .

طرحت العلاقة بين الشرق و الغرب في الرواية العربية منذ القرن التاسع عشر و حاولت رسم صورة الأنا من خلال صورة الأخر الحضاري "و صرتنا عن ذاتنا لا تتكون بمعزل عن صورة الآخر لدينا لما أن صورة الآخر تعكس بمعنى ما صورة الذات "[3] و من ينفي الآخر ينفي ذاته لأن الآخر مكمل للذات و من يختزل الآخر يختزل ذاته ذلك أن الذات المتعددة فقد أكد جيمس مارك بالدوين قائلا :الأنا و الآخر مولودان معا "[4] و مما شك فيه أن اهتمام العرب بالغرب تجلى في "قوة التيار الغربي و التغلغل في الجسد العربي المتخن بالهزائم و الجراح " [5] و لعبت البعثات العلمية دورا خطيرا في عملية انفتاح العرب على الغرب و هذه العملية اتخذت شكلين :شكل استعماري و شكل المثاقفة .

2- محددات الآخر عند علماء الاجتماع:

مفهوم الأنا و الأخر في علم الاجتماع :

إن الحديث عن هذين المصطلحين في مجال علم الاجتماع له موقعته البارز فكيف لا فهما اللبنة الأساسية التي تشكل نسيج البناء الاجتماعي إذ أن "اهتمام علم الاجتماع الأساسي ينصب على البناء الاجتماعي social structure ككل و ما يحويه من البناء من

[1] معظم الروائيين الذين ذهبوا الى الغرب كان بسبب الدراسة : طه حسين و توفيق الحكيم ،ويحي حقي و الطيب صالح

[2] جورج طرابشي ،صورة الآخر في الرواية العربية :من نقد الآخر الى نقد الذات في أصوات سليمان فياض عن صورة الآخر الغربي ناظرا ومنظورا إليه .

[3] نفسه ،ص 812 .

[4] نفسه ص 812 .

[5] عبد الرحمان بوعلي ـ الرواية العربية الجديدة ،كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، وحدة ،ط 1 ،2001 ،ص 327 .

مكونات و ما يحدث بينهما من علاقات و تناقضات " [1] و علم الاجتماع يدرس الأنا من خلال علاقة بمحيطه ،إذن من خلال علاقاته بالآخر و لذا فتعريف الأنا هو "فرد واع لهويته المستمرة و لارتباطه بمحيطه " [2]، فالأنا و الآخر تتمظهر علاقتهما على الصعيد الاجتماعي في عدة ثنائيات كالخير و الشر ، الحب و الكره و السلم ،الهيمنة و الخضوع ،المرأة و الرجل ،.....الخ، و يقترح تدوروف تصنيفا للعلاقات مع الآخرين إذ يبني هذا التصنيف على ثلاثة محاور ،أولا : حكم قيمة (على الصعيد الأخلاقي) الآخر سيء أو جيد،أحبه أو لا أحبه هناك ثانيا فعل التقرب أو الابتعاد بالنسبة للآخر (على الصعيد العملي) : أتقبل قيم الأخر و أندمج معه ،أو اجعل الأخر يمثلني ،و افرض عليه صوري الخاصة ، بين الخضوع للأخر و خضوع الآخر و يوجد تعبير ثالث الذي هو الحياء أو عدم الاهتمام أتعرف على هوية الآخر أو أتجاهلها (و هذا على الصعيد العملي البحثي) و من الواضح انه لا يوجد هنا أي مطلق ،و لكن يوجد تدرج لا ثاني بين حالات المعرفة البسيطة أو الأكثر عمقا [3] .

هذا يعني انه لا وجود للأنا بمعزل عن الآخر إلا نادرا حيث أن الأنا يتشكل و يتكون من خلال تشابك العلاقات داخل المجتمع و التي" بدونها لا تستطيع الإنسانية أن تستمر لا أخلاقيا و ماديا "[4] .

غير أنه لا يستطيع الأنا في سلسلة علاقاته مع الأخر أن يتموقع مع أي جماعة كيفما كانت لكن هناك شروط فقامة أي تجمع مع الآخرين حيث لا يمكن إقامة هذا التجمع إلا بمن يرتبط معهم بأهداف و مصالح و معتقدات و مفاهيم مشتركة في جماعة واحدة توفر له عضويتها

[1] عبد الباسط المعطي :اتجاهات في نظرية علم الإجتماع ،سلسلة عالم المعرفة ، الحس الوطني للثقافة و الفنون ،الكويت ،عدد 44، أوت 1981 ،ص 16 .

[2] ميخائيل ابراهيم سعد ،شخيتي كيف اعرفها ؟ ،دار الأفاق الجديدة ،لبنان ط 3 ،2003 ،ص 70 .

[3] عبد القادر شرشار :كتابة الآخر في الرواية العربية المعاصرة ، مجلة الخلدونية ،العدد التجريبي نشر ابن خلدون ،تلمسان ،2005 ص 148 .

[4] ملك بن نبي :ميلاد مجتمع ،ج 1 (مشكلات الحضارة) دار الوتر سوريا ،ط 2000 ، ص 94 .

إشباع تلك الحاجة الاجتماعية حين تتضح هذه الحاجة في الرغبة في الحياة مع هذه الجماعة و التوافق معها و تقبل معاييرها و قيمها و أنماطها السلوكية " [1] .

و بذلك فالأنا لا يحقق ذاته ألا من خلال تواجد الآخر و الإنسجام معه من خلال نسيج تلك العلاقات معه ، و بها يتحقق التكامل الإجتمـــــــاعي و سوف نتحدث عن مفهوم النحن و بالتالي فإذا" استطعنا أن نتصور الأنا قوة من بين القوى التي توجد في مجال سلوكنا فيمكن تصور النحن قوة من بين القوى ،تضم الأنا بحيث يصبح جزءا من الكل و لا يقوم كقوة مستقلة " [2] .

و عليه فعلاقة الأنا بالأخر في علم الإجتماع هي علاقة وطيدة علاقة تكافئ و تلازم و ترابطهما بهذا الشكل حتمي و ضروري ،و إلا فلا معنى لها لهذا العلم ذلك أن الأنا و الآخر من بين أهم أسسه .

يوجد صورتان لآخر الآخر (هم) صورة سلبية عندا يكون الآخر هو العدو ،"وصورة إيجابية عندما يكون هذا الآخر بمثابة صديق ، و في كلتا الحالتين يجب التعامل معه و التعرف عليه ، و تقول "كوتاسنا " أن التعرف إلى الأخر يعني توسيع أفقي الثقافي و الإنساني و لما كان مختلفا عني فإني أروم أثراء الذات لدي بما له من تجــــربة و من تنوع " [3] .

---

[1] مريم سليمان :علم النفس التعلم ،دار النهضة العربية ،لبنان ، ط 1 ،2003 ،ص470 .

[2] مصطفي سويف :الأسس النفسية الإبداع الفني في الشعر خاصة ، دار المعارف ،مصر ، د ط 1959 ، ص 139 .

[3] خضر عباس ،مقال الأنا و الآخر بين الفلسفة و السيكولوجيا ،م مدونة د خضر عباس

3.محددات الأنا و الآخر عند الفلاسفة :

لقيت الذات الإنسانية اهتماما كبيرا من قبل الدارسين و المفكرين و الفلاسفة اليونان لما لها من غموض و تنوع [1] و بقيت الفلسفة اليونانية مبهمة لأنا و الآخر كموضوع قابل للدراسة كما شغلت حتى حكماء الصين و الهند في القرون الأولى " [2] حيث اهتمت الفلسفة العربية بالأنا فبدت "كأنها تمفصل انطولوجي ابتومولوجي معا "[3].

و هذا التناول ما بين الوجودي و العرفي يعود للثقافة العربية ببيان الماهية حلـــقة دائـمة و مستمرة ،و الفلسفة اليونانية و غيرها من الثقافات الأجنبية الأخرى تمثل طابع مغير كما له للآخر كما يعود الأنا ارتباط الثقافة العربية الإسلامية بطبيعة النفس حيث "رؤاها حول طبيعة النفس كمفهوم قابل الآن في الاصطلاح الفلسفي ومن أصبح مصطلح النفس أكثر شيوعا و اتساعا و استخداما من مصطلح الأنا في الفلسفة العربية " [4] .أما في العصر الحديث ارتبط الأنا بمفهوم الماهية و الوجود بالطابع الفلسفي المعرفي و هي" الخصائص الذاتية لموضوع معين و تقابل الوجود و منه التعبير الشائع :الوجود و الماهية "[5] ، كما أسهمت الفلسفة الوجودية بنصيب وافر في مناقشة هذا المصطلح ،انطلاقا من قناعتها بأن السؤال عن الأنا هو تساؤل عن الوجود ،مما يترتب عن ذلك القول بأن "هو أولا وجودي أنا ،أنا الذات المتفردة " [6] ، حاول ديكارت أن يجعل الأنا مجال المعرفة الجوهري إذ وصل بين الأنا فكرا ،و الأنا وجودا ليخلص غلى نتيجة أنا أفكر إذا أنا موجود " [7] ،أما نيتشه فقد ضمها إلى فلسفة العلم "حيث لامعرفة فوق إمكانية العقل أو خارجـــــها معرفيا ووجوديا

---

[1] ينظر ميشيل فوكو الأهتمام بالذات ،ترجورج ابو صالح ،مركز الإنتماء العربي ،لبنان ،د ط 1992 ،ص 32 -33 .

[2] ولاس .د . لابين برت جرين :مفهوم الذات اسسه النظرية و التطبيقية ،ترفوزي بهلول ، مكتبة الأنجلو المصرية ،مصر د ط ، ص8 .

[3] عبد الرحمن بدوي : موسوعة الفلسفة ، ج1 المؤسسة العربية ،مصر ،ط 1 ، 1984 ،ص 114-117 .

[4] ينظر عباس يوسف الحداد :الأنا في الشعر الصوفي (إبن الفارض ،ا نموذجا) ،دار الحوار سوريا ، ط 1 ،2005 ، ص199 .

[5] مجمع اللغة العربية ،المعجم الفلسفي ،الهيمنة العامة لشؤون المطابع الأميرية ،مصر د ط 1983 ،ص 87 .

[6] عبد الرحمن بدوي :دراسات في الفلسفة الوجودية ،النهضة المصرية ،مصر ،ط 2 ،1966 ص 19

[7] نجيب البلدي ،ديكارت سلسلة نوابع الفكر العربي ـدار المعارف ،مصر ،ط2 ،1968 ،ص 200 .

،و أصبحت الأنا المطلقة عنده هي مركز نظرية العالم "[1] مما عكست هذه مقولات مفهوم الأنا من منظور معرفـــي و آخر وجودي غير أن وجودها هذا هو وجود في "عـالم لـيس إياها ،أي أنها موجودة و قد ترتب عن هذا الوجود في أن صار من صفاتها الجوهرية أنها محاطة أو في حالة تعين مع الغير و ليس ثمة ذات مفـــردة معطـاة وحدها " [2] ، أي أن الآخـر يـأتي بمعنـى "صـفة كـل مـاهر غيـر أنـا ،وفكـرة الآخـر بمعنـى غيـر الأنـا مقولـة إبستومولوجية ملخصها الإقرار بوجود خارج الذات العارفة أي كينونـات موضـوعية " [3] ، و نجد الأخر عند هيدغر marten heidgger مرتبط بالسقوط ،فهذا الآخر قد رمي به في هذا العالم إلا انه لا يملك سوى التسليم بـه ، و هذا السقوط قد يؤخذ على معنيين احدهما سلبي و الآخر ايجابي أما كونه ايجابي فلأن "بغيره ما كان يمكن وجودي أن يكشف لنفسه ولولاه لظل وجودي في إمكانات الوجود لا نهاية لها أي سقوطي هو الذي حددني و بتحددي تحقق وجود العيني " [4] ، فكان يقصد بالسقوط في هذا المعنى تواجده مع الآخر الذي أدي إلى تحقيق كينـــــــونة و معرفتها التي لم تم بمعزل عن معرفة الآخر " فالآخر يدخل عنصرا مقوما في صميم وجود الأنا و ماهيتها و الأنا بذلك لا تكون إلا أن ذلك الوجـــــود و هو وجود مع الآخر الذي قد يقلل ما فرصها في ممارسة حياتها كما قد يحصر دائرة تميزها الفردي ،إن بذلك يفهم السقوط من جانبه السلبي ،فإذا كان الآخر ضرورة حتمية فإنه في الوقت ذاته يمثل الخطر الذي يهددني بل "الموت المستور لإمكاناتي إلى اعتبار أن شأن حريته أن تحد من درجة حريتي إلا أنه لا مناص من" الوجود مع النـاس" جان بول ساتر jean Paul starter (**) .

4. محددات الأنا و الآخر عند علماء النفس :

أهتم علماء النفس بالنفس الإنسانية و حالاتها السلوكية ،وعدت الذات محور تلك الدراسات في علاقاتنا بذاتنا ،وعلاقاتنا بـالآخرين ،فأنكب هؤلاء العلماء على دراسة الأنـا

[1] ينظر عباس يوسف حداد :الأنا في الشعر الصوفي ،ص 192 .

[2] عبد الرحمن بدوي :دراسات في الفلسفة.

[3] ينظر :عبد الرحمن بدوي:موسوعة الفلسفة ،مرجع سابق ،ص 13.

[4] عبد الرحمن بدوي :دراسات في الفلسفة ص 85،86 .

بكل تجلياته ،و من خلال هذا الإهتمام بموضوع الأنا ،فلا نكاد نجد مفهوم الأخر في علم النفس إلا ما قد يستشف من بعض الأراء ، وللحديث عن الأنا لا يمكن إغفال الدور الذي أداه الفيلسوف "سيغموند فرويد Sigmund F [*]في هذا الخصوص ،حيث قسم الجهاز النفسي إلى ثلاثة أقسام و هي : الأنا - الهو - الأنا الأعلى .

" فالهو هو مستودع الشهوات و الحوافز الغريزية التي لا يستطيع الفرد البوح بها لأنها تشعره بالدونية أمام الآخرين ،و الهو في حالة عدم إشباعه تختلف من مرحلة نمو إلى آخري ،ووظيفته هي التخلص من الاستشارة أو الطاقة التي تنبع من داخل الكائن الحي،ليحقق "اللذة " و غاية مبدأ اللذة هي تجنب الألم ،لذلك يندفع الفرد اندفاعا عاجلا " [1].

أما الأنا فهو الذي يشرف على " مركز الشعر و الإدراك و الحلم و البصيرة ،فهو أنا و أنت و كيف أتعامل و تتعامل مع الآخرين ،و بالصورة التي أحافظ و تحافظ على احترامك و احترامي و قبولي و قبولك لديهم ،و الأنا هي الأفعال الإرادية التي تمارسها و نحن واعين و مدركين لطبيعة سلوكنا و نشاطنا ، فهي التي تشرف على الجهاز الحركي " [2].

و بهذا نرى أن الأنا تحمل صورة ألهو ،ولكن لما يتناسب و مبدأ الواقع " principle" " reality و يمثل الأنا الحكمة و سلامة العقل ،على خلاف الهو الذي يحوي الانفعالات و تقع العمليات النفسية الشعورية على سطح الأنا ،كل شيء آخر في الأنا فهو لا شعوري " [3] .

ليأتي في الأخير ما يسمى بالأنا الأعلى الذي يقوم بدور الرقيب لكل تصرفاتنا و أعمالنا فهو" جملة من القيم و المعتقدات و المبادئ الخلفية التي يستخدمها الفرد في الحكم على

(*):فيلسوف نمساوي ،ولد عام 1856 م ،توفي 1939 ،أهم أعماله ،تفسير الأحلام ،التحليل النفسي .

[1] بشرى كاظم الحوشان الشمري :علم نفس الشخصية ،عمان ،دار الفرقان للنشر و التوزيع ، 2007 ،د ط ،ص 37-38 .

[2] بشرى كاظم الحوشان الشمري :علم نفس الشخصية ،عمان ،دار الفرقان للنشر و التوزيع ، 2007 ،د ط ، ص 38- 39

[3] محمد عثمان نجاتي :مقدمة كتاب سيقموند فرويد ،الأنا و الهو ،تر :محمد عثماني نجاتي ،القاهرة ،دار الشروق ،ط 4 ،1992 ، ص - 17 .

سلوكه و دوافعه ،و هو ما يعرف عادة بالضمير"[1]، حيث يمثل الضمير صورة المجتمع بكل ما يحدث فيه إذ يختلف هذا الضمير باختـلاف طبيعة الأشخاص ، فهـــي الرافــض و المنتقد لكل من يتجاوز حدودها ،لذا فهي المنفذ للحكم و العقاب في ذات الوقت ، هي أيضا الرادع لكل سلوك يعيب الفرد و يجعله محط شبهة و انتفاض من الذات و الآخرين ، كما هي القانون الذي لا يقبل اختـــراق بنوده ،على أســاس من الخوف و الحب و الاحترام و بهذا التقسيم لشخصية الفرد الذي عمل به "فرويد " يرى أن "الأنا " الوسيط الذي تنتقل عبره تأشيرات العالم الخارجي ،و إن العلاقة التي تربطه بالهو هي علاقة إشراف و متابعة ، يقول :"إن الأنا يقوم بنقل تأثير العالم الخارجي إلى الهو ،و ما فيه من نزعات ،و يحاول أن يصنع مبدأ الواقع محل مبدأ اللذة الذي يسيطر على الهو (.........) و تتضح أهمية الوظيفة التي يقوم بها الأنا في توليه الإشراف عادة على منافذ الحركة ، وهو في علاقته بالهو مثل رجل على ظهر جواد يحاول أن يتغلب على قوة الجواد العظيمة "[2] ، و يقصد بالأنا هي التي تقـــوم بنقل تصرفات الفرد غلى خارج السطح و المكبوتات المدفونة في العمق .

لكن جاء غوستاف يونغ * **Carl Gustov Jung** و أحدث تمايزا بين الأنا و الذات ، وفرق بينهما ، فإذا كان الأنا يتميز بالفردية ،فإن للذات حسب رأيه مفهوم أوسع و أشمل ففي تقديره " إن الذات هي عبارة عن كيان يفوق الأنا تنظيما تحتضن الذات النفس الواقعية ،و النفس الاجتماعية ، وتشكل بذلك شخصية أوسع ،و تلك الشخصية هي نحن "[3] و على الرغم من عدم تطرق علماء النفس لموضوع الأخر بشكل مباشر إلا أن ذلك لا يمنع كون " إن نشأة الأنا رهينة بوجود الأخر "[4].

---

[1] مرجع سابق ص 40 .

[2] بشرى كاظم الحوشان الشمري :علم نفس الشخصية ،عمان ،دار الفرقان للنشر و التوزيع ، 2007 ،د ط ، ص 42- 43

[3] أحمد ياسين السليمالني :التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر ،دار الزمان ،دمشق ،سوريا ،د.ط ،د.ت،ص 98 .

[4] فرج عبد القادر طه ،موسوعة علم النفس و التحليل النفسي ،دار غريب ،مصر ،ط 2 ،2003 ، ص 5 .

I. صورة الآخر اليهودي عند العرب .

عرفت علاقات اليهود بغيرهم من الشعوب و الأمم الكثير من الجدل ،وخاصة علاقاتهم بالعرب و المسلمين ،حيث عاش اليهود بين العرب قبل البعثة الإسلامية و كانوا أصحاب تجارة و أموال ، و بذلك كانوا يسيطرون على العرب بالمكر و الخداع ،فتملكوا الأراضي و البساتين ،و بنو الحصون و القصور ،و كانوا يقطنون بالمدينة و عندما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة رأوا فيه خطرا على وجودهم في المدينة ،رغم العهود التي عقدوها مع النبي صلى الله عليه و سلم و بذلك بدأ الصراع بين المسلمين و اليهود ،حيث بنى اليهود سياستهم على الدين إذ هو المحرك لكل خطواتهم و قد جعلوا التلمود (*) مصدرا أساسيا لعقائدهم و أفكارهم و إذا أردنا فهم الشخصية اليهودية على حقيقتها و الوقوف على خلفيات الأحداث التجارية الآن على مسرح السياسة العـــــــالمية أو المتصلة بجرائمهم التي يرتكبونها ليل نهار بفلسطين المحتلة ،و بسبب هذه الأخلاق تعرضوا إلى البطش و المحن "و لقد برزت في السنوات الأخيرة عقب نكسة فلسطين بحوث و دراسات حول دور اليهود ،في أبرز الأحداث التاريخية المعاصرة و من الوثائق التي تسربت من أحد اجتماعاتهم السرية ما يكشف النقاب عن بعض هذا الدور......."[1] .

إذن هدف اليهود هو العلو فوق الشعوب ،فهم ينظرون للآخر نظرة استعلاء و تكبر ، و التلمود ملئ بالنصوص المعادية للأخر ، وحين المسيحيين أطلعوا على التلمود ثاروا ضدهم لأنهم وجدوه مليئا بالتهجم على سيدنا عيسى عليه السلام ، فهدفهم هو حكم العـــالم و السيطرة على الأرض و التحكم فيها ،وتحطيم عقائد الإيمان ،أي محاربة الأديان الأخرى .فاليهود يحركهم الدين ،وعلى مر التاريخ كانوا يعادون الشعوب باسم الدين ،ولكن عداوتهم للإسلام و المسلمين أشد ، ولذلك حذر الله المؤمنين من شرهم لقوله تعالى : " لتجدن أشد الناس عداوة للذين أمنوا اليهود و الذين أشركوا " فهم يضمرون المسلمين الشر و لا يتوانون في كل مواجهة البطش بهم ، و تمثلت عداوتهم ليس في العداء العسكري و إنما

(*)هو تلك الأحاديث الشفوية التي كانت ثمرة النظر و دراسة الأسفار التي جاءت عن اليهود من كتاب الإسلام و الأديان "دراسة مقارنة "مصطفى حلمي .

[1] مصطفى حلمي"دراسة مقارنة " دار النشر و التوزيع الإسكندرية ،ط 1 ,1990 ,ص 95.

"عداوتهم فيما هو أبعم من ذلك :في التآمر و الكيد و الدس في الخفاء و الطعن من الخلف (....) كما أن اليهود هم مخترعو كل المذاهب الهدامة في تاريخ الإسلام (..) هم الذين يملكون المال و الذهب ووسائل الإعلام و التوجيه،وهم وراء كثير من الحركات الفكريـــة و السياسية التي تهدم الدين من أساسه " [1].

و على الرغم من تعامل المسلمين معهم و العرب وفق ما جاء في القرآن و سنة نبينا صلى الله عليه و سلم ،إلا أنهم كانوا يخونون العهد و يتآمرون على الدولة الإســلامية و ذلك عندما انظموا للاستعمار الفرنسي إبان الاحتلال الجزائري ،و ما يحدث اليوم من مذابح في حق الفلسطينيين كمذبحة كفر قاسم ،ودير ياسين ، وصبرا و شتيلا ، وما حصل في غزة من مجازر يندي لها الجبين ،فتعاملهم معنا كان مصبوغ بالدم و الغدر و الخيـــانة و التآمر ،" أما اليهود في ظل الحكم الإسلامي ،فلم يفقدوا ذرة دينهم ،و لا مكانتهم (....) لم يتعرضوا للمجازر التي تعرض لها إخوانهم في أوروبا و لم يفكر المسلمون قط استباحة حقوقهم المادية و الأدبية لأنهم أمانة في ذمة المسلمين ....[2]"

إن مصطلحات حور الأديان ،و حور الحضارات ، و التسامح و قبول الآخر،لا يوجد لـــــــها مكان في فكرهم الديني و العقائدي بل يرون في قهر الآخر و الاعتداء عليه ، بل و استئصاله أمرا من أمور الدين .

صورة الآخر اليهودي في الرواية :

أ.الشخصية الأولى :أنجال .

تناول أدبنا الشعبي بأشكاله كافة ،من قصص و ملاحم و سير و أمثال سلوك اليهودي ،فجاءت الصورة رمزا للشر على تفاوت درجاته و الضرر بالمحيطين به ،فاليهودي هو المخادع الماكر ،المتربص للبطل دائما ،ويحفل تراثنا الشعبي بحكـــــايات و أمثال كثيرة تدعوا إلى الحذر من اليهود ،و تعبر عن الشعور العربي نحوهم ،ونرصد

---

[1] سعد الدين السيد صالح ،أحذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام ،مكتبة رحاب ،الجزائر ،د ط ،د ت ،سنة 2011 ,ص 10-11 .

[2] محمد الغزالي :معركة المصحف في العالم الإسلامي ،مكتبة رحاب ،الجزائر ،دط،دت،ص 65 .

نظرة اليهود و موقفهم من أصحاب الديانات الأخرى ،فنجد أن كثير من الصفات اجتمعت في الشخصية أنجال :

الشخصية	الملامح الخارجية		البعد النفسي	البعد الاجتماعي
أنجال	السن	ابنة الثامنة و الثلاثين	سذاجتها الشرقية البريئة لكنها لا تخلو من مكر في التعامل بحدود فاصلة مع ولع الرجال ،اجتماعية ،جريئة ،متمسكة بحبيبها صالح رغم رفض عمها ،طموحة ..	هي يهودية من أصل لبناني ،تعمل مساعدة بالمطقهة ،تعيش مع صالح الذي تكبره بسنين و الذي أنجبت منه ابنهما إبراهيم
	الوجه	ذات جمال مركب من مختلف الجمالات الشرقية و الغربية		

هي تلك اليهودية التي لم تعبأ للعادات و التقاليد ،أحبت عربي و أوقعت به رغم فارق السن بينهما ،ورفض عمها مباركة زواجهما إلا إذا تم في البيعة ،هي مخادعة ماكرة ،حيث كان تقربها من الشرقي من أجل الوصول إلى امتلاك المطقهة التي كانت تعمل بها كمساعدة .

تقربت من رشيد رفيق صالح تحت مسمى الأخوة ،ليتضح في الأخير بأنها أحبته .

ب .الشخصية الثانية :السيدة آشير.

هي السيدة اليهودية زوجة عم أنجال ،تعدت السابعة و الستين لكنك لا تعطيها أكثر من أربعين ،عاشت طوال حياتها عصبية ،أنانية لا تحب الخير لأحد ،فقد تربوا على الحقد و الكراهية ،بعد تعرضهم للاغتيالات الجماعية ،و التشريد البشع ،لقد ركبوا فيهم روح العظمة التي حولها هتلر في أيام إلى أفران من جحيم ،قالوا لهم أن الثورة ماء و ملح ، و المشنا نبيذا أو فلفل ،و الغامارة نبيذ عطري أو بهار ،ولا يمكن لامرئ أن يستغني عن هذه الأصناف الثلاثة للحياة ،و هذا ما دفع بها لأن تسعى لأخذ ثروة زوجها البائس ،و أن نرى بأن أنجال العانس البلهاء التي تريد أن تنقل الثروة إلى صاحبها و ما تحمل في بطنها

،و ما زادها شنانا و ضغينة حب أنجال لصاحبها و هو ما يذكرها بالشاب العربي الإفريقي الذي تعلقت به في ريعان شبابها،لكن بعد ولادة أنجال لابنها إبراهيم تتغير آشير لتغدو ألطف سيدة وقور ،بعد أن أصبح الطفل الصغير ينام على صدرها ،و أصبحت ترقده في فراشها المحرم على الإنس و الجن ،و الذي لم ينعس فيه زوجها المرحوم لحظة واحدة ،إلا إذا رقد فيه أحد فلانها المفضلين في الماضي البعيد أيام عز شابها ،كما قررت كتابة نص ثروتها للحفيد الغالي ،حتى لا يشعر بشبح التشريد و أن تترك البيت لأنجال .

II. صورة الآخر المسيحي عند العرب :

منذ أن بزغ فجر الدولة الإسلامية و أمتد نفوذها إلى الشرق و الغرب ،حتى وصل إلى قلب العالم الغربي (المسيحي) ،أوجس الغرب خيفة و تنادى من أجل إيقاف هذا الزحف الشرفي ،و العمل تفويضه ، فانطلقت الجيـــوش العسكرية يتقدمهم القســـــاوسة و الرهبان لأجل وأد هذه الدول " و قد عرفت محاولاتهم هذه باسم الحروب الصليبية ،لأنهم رفعوا فيها لواء الصليب للاقتصاص من المصحف (...) و التي بدأ البابا (أريان) سنة 1095 م ،ولكن في التحقيق نلاحظ أن الحروب الصليبية قد بدأت قبل هذا التاريخ بمائة عام أو أكثر "[1] و معنى هذا أن الدين في قلب المعركة ،فكيف كانت معاملتهم للأخر المسلم العربي أو الشرقي .من غير شك ،فإن نظرة الصليبيين للأخر المسلم العربي نظرة عداء ، ولا يجب التسامح معه ،فهو يمثل خطرا عليهم ،ويجب التخلص منه ،ولا حل غير الاستئصال "الحروب الصليبية كانت جاذبيتها في أوروبا حتى ق 18 (..) كانت تشكل جزءا حيا و حيويا من عالمهم ،(...) لما أن ألاف عديدة من أبناء الغرب الأوربي ساهموا بأموالهم في تمويل الحملات .

أما العالم العربي في سنة 1096 م و 1291 م قامت عدة مستوطنات صليبية على التراب العربي في فلسطين و بلاد الشام و الجزيرة ،و تعين على سكان هذه المنطقية العربية أن يدفعوا ثمنا فادحا لكي يقضوا على الكيان الصليبي من جهة ،و يتصدوا

[1] سعد الدين السيد صالح ،مرجع سابق ،ص 20 .

للمشروعات والغارات الصليبية المتأخرة من جهة أخرى (..(،كانت سببا رئيسيا من أسباب تعطل قوى الإبداع و النمو في الحضارة العربية الإسلامية "[1] فالغرب المسيحي في حربه على المسلمين العرب يريد أن ينهب خيراته ،ويعمل على تخلفه و تجهيله ،لا يرده أن يعيش في أمن و سلام ،فهو في حروبه ليس من أجل مبادئ سامية ،و إنما من أجل الإستئصال و الإبادة و ما فعلوه بالقدس ،يقول ياسين بن علي ." هل يذكر الغرب و ما فعله في القدس حين دخلها مستعمرا ،ألم يذبح الصليبيون المسلمين و النصارى المشرق و اليهود حتى سالت الدماء كالأنهار (...) "[2].

وهذا يعني أن مثل هذه الشعوب لا يمكن بحال من الأحوال أن يفكروا في شيء اسمه الحوار و التسامح ،يبدو لا وجود لهذه المصطلحات في قاموسهم فقد كان رسولنا الكريم صلى الله عليه و سلم ،يقدم النصائح و الإرشاد خلال الحروب بعدم قتل الشيوخ و النساء و الأطفال ،وحتى البيئة يجب أن تسلم هي الأخرى من التدمير ، الهدم ،التجهيل ،ثمني الشر ..... و ما يضمره العربي المسلم الآخر الغربي المسيحي الحوار ،التسامح ،السلم ،الحفاظ على وجود الآخر ،الإعمار ،البناء ،ثمني الخير ....

فرسالة لويس التاسع عندما وصل إلى دمياط بمصر التي يعيش بها إلى نجم الدين أيوب " أن نقتل العباد و ندوس البلاد و نطهر الأرض من الفساد ،فإن قابلتنا أوجبت على نفسك النكال ،و رميتك رعيتك في أسر الوبال ،و يكثر فيهم العويل ،و لا نرحم عزيزا و لا ذليلا "[3].

هذه الصورة توضح لنا صورة روح التعالي و الإحتقار ،و الإستهانة بالآخر يقول جيبون Edward gibbon : فالحملة الصليبية تركت في التاريخ أقسى ما عرف من التعصب لا ضد المسلمين فحسب بل ضد مسيحي الشرق فيوم استيلائهم على بيت القدس

[1] قاسم عبده قاسم :ماهية الحروب الصليبية ،سلسلة عالم المعرفة ،الحس الوطني للثقافة و الفنون ،الكويت ، العدد 49 ،مايو 1990 ،ص 80 .

[2] ياسين بن علي : مفهوم التسامح بين الإسلام و الغرب ،مجلة الزيتونة ،دار الدعوة ،الإسكندرية ،ط 1 ، 2006 ، ص 58 .

[3] سعد الدين السيد صالح ،م سابق ،ص 22 .

في 15 -07 - 1099 م ،رأوا أن يكرموا الرب بذبح سبعين ألف مسلم ،و استمرت هذه المذبحة ثلاثة أيام ،و لم تنته إلا لما أعياهم الجهاد.........." [1] .

و منا يتبين أن الحرب ضد العرب و المسلمين ،إنما هي حرب صليبية دينية ،و أن الإسلام هو العدو الأول ، بل الوحيد للغرب المسيحي .

صورة الآخر المسيحي في الرواية :

السيدة كاترين :

الشخصية	الملامح الخارجية		البعد النفسي	البعد الاجتماعي
السيدة كاترين	السن	سيدة طاعنة	هي سيدة طاعنة ،لها القدرة خارقة تستطيع بها أن تخرج قوما من أديان و تدخلهم في أديان أخرى في يوم واحد ،قوية ،صامدة ،مقومة لأحداث الزمن ،خادمة بحب و إخلاص لدينها ،مؤمنة بالقضاء و القدر.	هي سيدة مسيحية تبشر الناس و تعظهم ،و تعرض عليهم مساعدة الكنيسة بالرغم من إحالتها للتقاعد .
	العينان	عيناها المحمرتين تكسوهما نظارتان		
	الهندام	ترتدي بذلة زرقاء،تعلو رأسها قبعة مجنحة،يتدلى فوق صدرها صليب معدني		

إن الرسالة الرئيسية في المسيحية هي أن السيد المسيح هو إبن الله المتجسد مات على الصليب ،ودفن و قام من بيت الأموات بعد ثلاثة أيام ،إنها تدحض الرسالة المركزية للإسلام التي مؤداها أن ليس إبن أزلي ،و أن السيد المسيح لم يمت على الصليب ،و إن محمد هو خاتم الأنبياء لكن السيدة كاترين كانت مصرة على تبليغ رسالتها المسيحية للناس و إستدراجهم لإعتناق ديانتها ،فيأملها العريض في التبشير تستطيع إختراق قوم من أديـــان و إدخالهم في أديان أخرى ،لكن إيمان المسلمين أكثر خرقا من قدرتها تلك .

[1] جيبون :نقلا عن كامل سلامة دخس :آيات الجهاد في القرآن الكريم ،دار البيان ،الكويت ،د ط ،1977 ،ص 101 .

هي تلك العجوز الطاعنة التي ربطت نفسها خادمة للكاثوليكية ،أحيلت على التقاعد شفقة عليها من إدارة الكنيسة ،لكنها ولدت من جديد لتبعث من شيخوختها جلدة عنيدة تقاوم أحداث الزمن ما دفعها لكل ذلك هو فواجع عائلتها ،فحياتها كانت عادية ،تدرس و تطمح لنيل شهادة البكالوريا إلى أن انقلبت حياتها رأسا على عقب ،بعدما كانت أمها تخون أبيها مع عشيقها ،الذي اعتدى على كاترين ،لتقوم أمها بقتله و تدخل السجن ،ليموت أبيها من هول الصدمة ،لكنها بعد كل ذلك لم تتحصر و عدت ما حصل قضاء و قدر.

III . صورة الآخر الإسباني في الرواية :ماريا كازانوفا .

كما هو الحال في معظم الدول الغربية ،دولة فرنسا منحت الحق لنشطاء البغاء ،وقننت هذا النشاط ووضعت كل التشريعات التي من شأنها أن تحمي حقوق الذين يعملون فيه كأي عامل في أي قطاع من القطاعات الأخرى ،ففعل البغاء في فرنسا يقوم ببساطة على مبدأ العمل بتستر و بدون فضح ،ماريا كازانوفا هي واحدة منهن إمتهنت هذه المهنة بعد الإعتــداء عليها في بلدها هناك في إسبانيا ،فهي تعتبر نفسها ضحية ،فلطالما تمنت أن تتمسك بزبون عابر يخادنها بالصدق و المودة ،يخرجها من الظلمات إلى النور ،لقد كانت صادقة النية ،فبعد أن إلتقت برشيد إعتزلت عملها و تابت ،لتقرر العودة إلى بلدها ،وتفكر في إعادة بناء حياتها ،صارت وفية ،مستعدة لأن تضحي من أجل من أحبته .

الخاتمة

- إن الرواية العربية قطعت شوطا كبيرا في وعيها للآخر ،بإعتبارها الجنس الأدبي الأقدر على التعبير على العلاقات المعقدة للإنسان الحديث ،سواء أكان ذلك على الذات أم على صعيد فهم الآخر .

- تحولت الرواية إلى مخبر للمخيال تتعدد فيه الموضوعات مثل المنفى ،الغرائـــــبية ،الخوف من الآخر ..) لذا نجد أن عبد الجليل مرتاض قد اعتمد على الرمز و الإيحاء من خلال عرضه لشخصيات استقاها من المحيط الاجتماعي الغربي ليتبين العلاقة التي جمعتهم بالشخصية الرئيسية العربية و أعطاها أبعاد دلالية رمزية ،وهذا لتوضيح صورة الآخر الغربي و نوع العلاقة التي جمعته بالعرب دون أن ننسى تأثير الدين في ذلك.

- فالشخصية الرئيسية كما رأيناها ماهي إلا نموذج حقيقي لفئة من الشباب الذي أختار الاغتراب ليعيش حياة الرغد كما يتصورها لكن رغم توفر العمل و تهدد العلاقات بالآخر إلا أنه يقرر الرجوع للبلد الأم دون نسيان الشخصيـــات الأخرى من الجنسيات و الأديان المختلفة و ما عانته من ضياع وحرمان .

- و من خلال ما مر علي في هذا البحث ،لا أزعم الإحاطة الكاملة بالموضوع ،وجوانبه ،إلا أن هذا العمل يبقى مفتوح و بحاجة إلى دراسة و بحث،و ما هو إلا بداية لأعمال أخرى أكثر عمقا و و أشمل .

قائمة المصادر و المراجع :

- أحمد ياسين السليماني :التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر ،دار الزمان ،دمشق ،سوريا ،د .ط ،2007 م .

- بشرى كاظم الحوشان الشمري :علم نفس الشخصية ،عمان ،دار الفرقان للنشر و التوزيع 2007. م .

- جون بول سارتر،الوجود و العدم ،عبد الرحمن بدوي ،دارالعودة لبنان ،ط1966،3 م .

- جيبون ،نقلا عن كامل سلامة دقس :آيات الجهاد في القرآن الكريم ،دار البيان ،الكويت ،د.ط،1977 م.

- جورج طرابشي،صورة الآخر في الرواية العربية،من نقد الآخر إلى نقد الذات في أصوات سليمان فياض عن طاهر لبيب و آخرون،ط1999،2 م.

- ولاس.د. لابين برت جرين:مفهوم الذات و أسسه النظرية والتطبيقية ،فوزي بهلول،مكتبة الأنجلو المصرية ،مصر،د.ط ،1933 م .

- حلمي ساري ،صورة العرب في الصحافة البريطانية،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ط1988،1 م .

- طاهر لبيب و آخرون ،صورة الآخر العربي ناظرا و منظورا إليه ،مركز الدراسات الوحدة العربية ،بيروت ط 2 ،1999 م .

- محمد المويلحي ،حديث عيسى بن هشام ،المكتبة العربية ،ط 4 ،1964 م .

- ميخائيل إبراهيم سعد ،شخصيتي كيف أعرفها ؟ دار الأفاق الجديدة ،لبنان ،ط 2003،3 م .

- ملك بن نبي ،ميلاد مجتمع ،ج 1 ،دار الوتر سوريا ،ط 1 ،2000 م .

- مصطفى يوسف ،الأسس النفسية ،الإبداع الفني في الشعر خاصة ،دار المعارف ،مصر،د.ط ،1959 م .

- ميشال فوكو ،الاهتمام بالذات ،تر .جورج أبو صالح،مركز الانتماء العربي،د.ط ،1992 م .

- محمد عثمان نجاتي ،مقدمة كتاب ،سيقموند فرويد،الأنا و الهو،تر محمد عثماني نجاتي ،القاهرة ،دار الشروق ط1992،4 م.

- مصطفى حلمي،دراسة مقارنة ،دار النشر و التوزيع ،الإسكندرية ،ط 1 ،1990 م.

- محمد الغزالي،معركة المصحف في العالم الإسلامي،مكتبة رحاب الجزائر ،دط،دت.

- نجيب البلدي،ديكارت ،سلسلة نوابع الفكر العربي ،دار المعارف ،مصر ،ط2 ،1968 م .

- سيار الجميل ،التحولات العربية ،إشكالية الوعي و تحليل التناقضات و خطاب المستقبل ،الأهلية للنشر و التوزيع ،المملكة الأردنية الهاشمية 1997 م .

- عبد المجيد حنون ،صورة الفرنسي في الرواية المغربية،ديوان المطبوعات الجامعية 2001 م .

- عبد الرحمان بوعلي،الرواية العربية الجديدة ،كلية الآداب و العلوم الإنسانية،ط1،2001 م.

- عبد الرحمن بدوي ،موسوعة الفلسفة،ج 1،الموسوعة العربية ،مصر ،ط1،1984 م .

- عبد الجليل مرتاض،لا أحب الشمس في باريس،دار هرمة للطباعة و النشر و التوزيع،2005 م .

- عباس يوسف حداد،الأنا في الشعر الصوفي،دار الحوار ،سوريا ،ط1 ،2005 م.

- فرج عبد القادر طه ،موسوعة علم النفس و التحليل النفسي،دار غريب ،مصر،ط2،2003 م .

- قاسم عبده قاسم ،ماهية الحروب الصليبية ،سلسلة عالم المعرفة ،الحس الوطني للثقافة و الفنون ،الكويت ،1990 م.

الدوريات و المقالات:

- معين الطهطاوي و الغرب ،مجلة الحوار فصيلة فكرية ثقافية ،العدد 10،1988 م .

- ياسين بن علي،مفهوم التسامح بين الإسلام و الغرب ،مجلة الزيتونة ،دار الدعوة ،الإسكندرية ،ط1 ،2006 م .

- خضر عباس ،مقال الأنا و الأخريين ،الفلسفة و السيكولوجيا ،مدونة خضرعباس.

الفهرس